سحب القوات الأمريكية من سوريا.. إيران أكبر الرابحين!

مدخل:

شهدت الأيام الأخيرة من زيارة ولي العهد السعودي، الأمير محمد بن سلمان، إلى الولايات المتحدة موقفًا فريدًا من نوعه في العلاقات الدولية، بشكل عام، حتى فيما يتعلق بقواعد الدبلوماسية والبروتوكول المتَّبع، أو بشكل خاص فيما يخص العلاقات الأمريكية السعودية، وما كان من حميمية كبيرة في اللقاء الذي جمع ولي العهد السعودي بالرئيس الأمريكي، دونالد ترامب، الثلاثاء 20 مارس الماضي في العاصمة الأمريكية، واشنطن.

يتعلق الأمر بتصريحات ومواقف شديدة التباين من الحرب في سوريا، والدور الأمريكي فيها، بشكل وصل إلى حد تلاسُن مبطن بين الأمير محمد بن سلمان، والرئيس الأمريكي، بالرغم من أن اللقاء الذي تم بين بن سلمان، وبين ترامب، أبرز الكثير من الاتفاق في المواقف بين الرياض وواشنطن، وبدا وكأن العاصمتَيْن تعزفان على نغمة واحدة، أو وتر واحد.

إلا أن هذا الوتر بالرغم من أنه قد اتفق على النغمة التي تتعلق بإيران وضرورة محاصرة نفوذها الإقليمي، والاستثمارات السعودية في الولايات المتحدة، وخصوصًا في قطاع التقنية الفائقة والنفط، والتعاون الأمني بين الرياض وواشنطن؛ إلا أن الأمر لم يكن كذلك فيما يتعلق بسوريا، بالذات فيما يتعلق بمسألة سحب/ بقاء القوات الأمريكية هناك.

تزامن هذا التباين الذي ظهر إلى الواجهة فجأة، مع تحولات ميدانية مهمة على الأرض في سوريا لصالح الرئيس السوري بشار الأسد، والجيش السوري؛ حيث بات يسيطر على غالبية أجزاء الغوطة الشرقية، آخر معاقل المعارضة السورية حول دمشق، بعد إنهاء الفصائل المسلحة الرئيسية التي كانت موجودة في الغوطة، لوجودها هناك، عدا "جيش الإسلام" المدعوم من السعودية، في ظل عدم قدرة على المغادرة، أكثر منها عدم رغبة، مع طغيان الخلافات الإقليمية على الواقع الميداني على الأرض، وهو ما ترك أثره على مواقف فصائل المعارضة السورية المسلحة التي يدعمها هذا الطرف أو ذاك.

فالفصائل التي تدعمها تركيا وقطر، ممثلة في "فيلق الرحمن" و"أحرار الشام"، الذراع المسلح للتنظيم الدولي للإخوان المسلمين في سوريا، ترفض أن يتواجد بينها تنظيم "جيش الإسلام" الذي تدعمه السعودية؛ حيث ذهبت من الغوطة، سواء إلى "عفرين" أو إلى "إدلب" وريف "حلب"؛ حيث السيطرة تركية بالكامل، مع تواجد أمريكي في بعض المناطق.

ويعود ذلك إلى أكثر من سبب؛ الأول هو الخلافات السعودية مع الإخوان وقطر، وتصريحات ولي العهد السعودي في الولايات المتحدة لـ"الواشنطن بوست"، ومجلة "ذي

أتلانتيك"، تدل على عمق الأزمة بين الرياض وبين الإخوان، في الوقت الراهن، ولا تقول بإمكان التلاقي في الحرب في سوريا أو في أي ملف آخر، باستثناء الحرب في اليمن؛ حيث قدم الإخوان أنفسهم للرياض وأبوظبي كأداة وظيفية للحرب ضد الحوثيين، لمصالح مشتركة بينهم وبين التحالف العربي.

السبب الثاني؛ هو أن "جيش الإسلام" خاض معارك عنيفة للغاية مع "فيلق الرحمن" في أكثر من مرة في الفترة بين العامَيْن 2015م و2017م، وسيكون من الصعب للغاية أن يتواجد بقواته في أماكن وجود "فيلق الرحمن" وحلفائه من "أحرار الشام"، أو هيئة تحرير الشام، التي تشكل "جبهة النصرة" عمودها الفقري، وتسيطر على غالب إدلب بإشراف تركي.

الغريب في الأمر كذلك، هو ما أعلنته وزارة الدفاع الأمريكية "البنتاجون" بعد تصريحات ترامب عن قرب سحب قوات بلاده من سوريا، عن بحث إرسال المزيد من القوات إلى سوريا، وهو ما أثار حفيظة الأتراك، بعد يوم واحد من هدوء مفاجئ طرأ على العلاقات المأزومة بين البلدَيْن، بعد أن أشاد وزير الخارجية التركي، مولود جاويش أوغلو، بقرار أمريكي بتجميد أموال كان من المقرر تحويلها إلى الأكراد في سوريا.

وفي هذا الإطار، وفي ظل التعقيد المحيط بما جرى في الولايات المتحدة من تحولات متناقضة في المواقف السعودية الأمريكية إزاء الموضوع السوري، وتعدد القضايا المتصلة بذلك؛ فإن هذه الورقة سوف تحاول فك العقد المحيطة بهذه الأمور، وتربط أطراف الصورة الحالية في سوريا بعضها ببعض، في ظل الضبابية التي رافقت تسارع الأحداث، والتناقض – الظاهري على أقل تقدير – في مواقف الأطراف المختلفة من الصراع في سوريا.

القوات الأمريكية في سوريا بين السحب والإيداع!

يوم الخميس التاسع والعشرين من مارس، قال ترامب، في كلمة له في مدينة "ريتشفيلد" بولاية "أوهايو" الأمريكية، إن القوات الأمريكية في سوريا "ستغادر مناطق انتشارها هناك "قريبًا جدًّا"".

ترامب قال حرفيًّا: "لقد وجهنا ضربات قاضية لـ"داعش". سوف نغادر سوريا قريبًا جدًّا. لنترك الآخرين يعتنون بها"، مضيفًا أنه "سوف نسيطر مائة بالمائة على أرض الخلافة كما يسمونها. سنستعيدها جميعها بسرعة، بسرعة، لكننا سنخرج من هناك في القريب العاجل".

في ذات التوقيت تقريبًا، قال ولي العهد السعودي، في تصريحات لمجلة "تايم" الأمريكية، إن الرئيس السوري بشار الأسد "من غير المرجح أن يترك منصبه قريبًا"، مضيفًا أنه يتمنى من الأسد "ألا يصبح دمية لإيران".

وفيما اعتبره مراقبون أنه تعليق دبلوماسي على كلام ترامب المتقدِّم؛ قال ابن سلمان إنه "يدعم بقاء القوات الأمريكية في سوريا على المدى المتوسط"، وقال إن هذه القوات البالغة حوالي 2000 جندي "من شأنه الحد من طموحات إيران في توسيع نفوذها"، و"يسمح أيضًا لواشنطن بأن يكون لها رأي في مستقبل سوريا".

بعد ذلك بيومَيْن، وفي الحادي والثلاثين من مارس، قالت صحيفة "وول ستريت جورنال" الأمريكية، أن ترامب قد أمر وزارة الخارجية بتجميد أكثر من 200 مليون دولار من الأموال التي كانت مخصصة لجهود إعادة الإعمار في سوريا، ضمن عملية إعادة تقييم شاملة للسياسة السورية الأمريكية.

مسؤولون أمريكيون قالوا للصحيفة إن ترامب اتخذ هذا القرار بعد أن اطلع على تقرير إخباري يشير إلى أن وزير الخارجية الأمريكي المغادر منصبه، ريكس تيلرسون، قد تعهد بدفعه في مؤتمر التحالف الدولي للحرب على تنظيم "داعش"، الذي عُقِد في الكويت، في فبراير الماضي.

إلا أن اليوم الثالث من أبريل حمل تقريرًا لشبكة "سي. إن. إن" الإخبارية الأمريكية أن "البنتاجون" يبحث في إرسال المزيد من القوات إلى سوريا، مما أدى إلى إثارة حفيظة الأتراك، الذين أصدروا أمرًا اتهاميًّا في حق الزعيم الديني عبد الله جولن، المقيم في "بنسلفانيا" الأمريكية، في قضية اغتيال السفير الروسي في تركيا، آندريه كارلوف، في أنقرة، في 19 ديسمبر 2016م.

الملف الكردي.. تطورات ليست بعيدة!

ليس بعيدًا عن ذلك ملف التطورات الأخيرة في الملف الكردي في سوريا؛ حيث إن "عفرين" سقطت في يد الجيش التركي ومرتزقته من الجيش السوري الحر، بعد أسابيع طويلة من القتال، نظير حصول النظام السوري على مناطق في ريف "إدلب"، شملت مطار "أبو الظهور" العسكري، والغوطة الشرقية بالكامل.

وسعت تركيا خلال الفترة الماضية إلى "توطين" عدد كبير من الفصائل السورية المسلحة الموالية لها، مثل فصائل هيئة تحرير سوريا التي تضم "أحرار الشام" وفصيل "نور الدين زنكي"، و"السلطان مراد"، بالإضافة إلى "فيلق الرحمن" في المناطق التي سيطرت عليها في شمال سوريا، من "عفرين" غربًا إلى "جرابلس" شرقًا، على حساب أهالي المنطقة الأصليين.

فبحسب الخبير في الشؤون السورية، فابريس بالانش، فإن الرئيس التركي رجب طيب أردوغان، يريد إنشاء ما وصفه بـ"محمية تركية على طول الحدود، الهدف منها منع لاجئين

جدد من الذهاب إلى تركيا، وإعادة مجموعات من اللاجئين السوريين إلى تلك المنطقة، على حساب الأكراد.

الوجود العسكري الأمريكي في هذا الإطار، هو الضمانة الأخيرة أمام الأكراد لعدم تكرار نموذج "عفرين" في باقي مناطقهم في شمال وشمال شرق سوريا، وغرب الفرات في "منبج" التي يعتبرها أردوغان هدفه الأساسي بعد "عفرين"، وبالتالي؛ فإن أي تجاهل أمريكي إضافي للأكراد، قد يدفعهم إلى التحالف مع النظام السوري؛ حيث تقف قوات الحماية الكردية التي أعادت انتشارها حول "عفرين"، إلى جوار مناطق تماس مع قوات الجيش السوري النظامي.

إلا أن التخلي الأمريكي عن الأكراد – لو تم – فإنه سوف يعني مشكلة أخرى للإدارة الأمريكية؛ حيث إن الأكراد هددوا صراحةً بأنه حال تخليهم عن المناطق التي سيطروا عليها بعد معارك مع تنظيم الدولة "داعش"؛ سوف تؤدي إلى عودة التنظيم مجددًا.

وهو بالفعل ما رصد مراقبون بعض بوادر له، ودفع فرنسا التي تعاني أكثر من غيرها من البلدان الأوروبية من مشكلات أمنية بسبب عناصر "داعش" الذين تدربوا في سوريا، وأتوا منها إلى أوروبا، إلى التهديد بإرسال قوات إلى شمال سوريا، مما أثار أزمة دبلوماسية مع الأتراك الذين اتهموا الرئيس الفرنسي، إيمانويل ماكرون بأنه يرعى الإرهاب!

ابتزاز أمريكي للخليج

يذهب بعض المحللون الروس والسوريون إلى القول بأن تصريحات ترامب عن الانسحاب الأمريكي "قريبًا جدًّا" من سوريا؛ يعني اعترافه بهزيمته هناك، ولكنهم تجاوزوا أن الانسحاب الأمريكي من سوريا، هو أحد أهم بنود برنامج ترامب الانتخابي، وقال صراحة لصحيفة "النيويورك تايمز" الأمريكية، بعد فوزه بالانتخابات مباشرة، في نوفمبر 2016م، في تناوله لسياسات إدارة سلفه باراك أوباما في سوريا؛ إنه ليس من شؤون بلاده إقامة دول جديدة في الشرق الأوسط!

وهو تصريح فيه تخلٍّ واضح من ترامب عن الأكراد، إلا أن القرار ليس قراره هو؛ بل قرار المؤسسات الحقيقية التي تصنع القرار في الولايات المتحدة، وفق إستراتيجيات ثابتة لا تتغير بتغيُّر قاطن البيت الأبيض، مثل "البنتاجون" و"الكونجرس"، وترامب من خارجها كما هو معروف، وسبب له ذلك مشكلات كبرى أحرجت أكبر سلطة في أكبر بلد في العالم في كثير من المواقف، وتعود إليها مشكلة الإقالات والاستقالات التي زادت عن العشرين في عام واحد من إدارة ترامب!

لكنهم يرون كذلك في أن تصريح ترامب ربما ابتزاز للخليج لكي يدفع أكثر في تمويل الوجود العسكري الأمريكي في سوريا، وهو كذلك من أهداف ترامب المعلنة التي لم يخفها؛ حيث أعلن في اكثر من مرَّة أنه آن لدول المنطقة أن تقوم بأعباء مشكلاتها، وطرح ذلك بقوة في القمة الإسلامية الأمريكية، في الرياض، في مايو 2017م.

ويقول علي قاسم في صحيفة "الثورة" السورية، يوم 1 أبريل، إن القرار الأمريكي "المفاجئ للبعض" قد يكون في بعض جوانبه "وليد الجولة التي قام بها محمد بن سلمان، والتي استهلكت جوانبها المتعلقة بصفقات التسليح".

ورأى أن كلام ترامب عن سحب قوات بلاده من سوريا "هو نوع من الابتزاز، وحتى المساومة على من يدفع أكثر، وإذا ما وجد أن هناك من يمول فلن يتردد في مسح تصريحاته ومواقفه".

وهو ما أيده فيه محيي الدين المحمد في "الوطن" السورية؛ حيث أعرب عن أمله في أن تنسحب القوات الأمريكية قريبًا كما قال ترامب، وقال إن هذا "يوفر علينا وعلى الحلفاء خوض معارك طاحنة قد تجر المزيد من الأطراف الدولية لتلك المعارك، وتوفر على ترامب ذاته دفع المزيد من التكاليف المادية والبشرية التي قد لا يحتملها".

ولكنه قال أيضًا إن ترامب لا يعني ما يقوله بل "يريد استثمار حالات الرعب لبعض الدول الإقليمية، ويقبض المزيد من عوائد النفط المنهوبة من الخليجيين، وخاصة أنه قدَّر تكاليف وجود قواته في المنطقة بسبعة تريليونات دولار من دون أن يجني شيئًا من عوائد تلك المليارات".

الصحفي اللبناني، حازم الأمين، طرح في "الحياة" اللندنية، وجهة نظر جديدة في هذه النقطة؛ حيث قال إن الانسحاب الأمريكي من سوريا "يعني مواجهة أكيدة بين تركيا والأكراد".

وقال في مقال بعنوان "ترامب سينسحب من سوريا ومن بعده الطوفان"، إن "الخطوة الأمريكية إذا ما بوشر في تنفيذها على نحو سريع ستفسح في المجال لما لا يحصى من مواجهات، وسيأخذ الاصطفاف الإقليمي أشكالاً جديدة".

إلا أن المحلل السياسي اللبناني نضال السبع، قال في تصريحات لوكالة "سبوتنيك" الروسية؛ إن مثل هذه المواجهة سوف تكون مؤشرًا على انتهاء المشروع الكردي الذي وصفه بالانفصالي في شمال سوريا.

القرار الأمريكي وإيران

تتصل هذه الجزئية بموقف الأمير محمد بن سلمان؛ حيث إن الكثير من المراقبين رأوا أن الانسحاب الأمريكي سوف يفضي إلى المزيد من الهيمنة الإيرانية على سوريا، وربما يفضي إلى أن تنجح إيران في تأسيس محور متصل يمتد من إيران إلى ساحل البحر المتوسط، يشمل العراق وسوريا ولبنان، وهو ما يثير مخاوف طرفَيْن أساسيَّيْن؛ السعودية وإسرائيل.

وبالفعل، كان لرئيس الحكومة الإسرائيلية، بنيامين نتنياهو، تصريحات عديدة عن وجود مصالح أمنية مشتركة بين إسرائيل ودول الخليج والعالم العربي بشكل عام، سواء فيما يخص مواجهة ما يصفه بالتنظيمات الإرهابية المتطرفة، ويضم إليها فصائل من المقاومة الفلسطينية، أو إيران، لاعبًا على وتر المخاوف السعودية والخليجية في هذا الصدد.

الكاتب فهد الخيطان في "الغد" الأردنية طرح أكثر من زاوية أخرى لهذا القرار مع الموضوع الإيراني؛ حيث قال إن الانسحاب الأمريكي "يعني فتح الباب واسعًا أمام طهران لتدشين تواصل جغرافي يمنح إيران خطًّا سريعا من العراق إلى قلب لبنان"، وأشار إلى أن هذا الأمر "يمثل تهديدًا جديًّا لإسرائيل التي طالما توعدت بالرد السريع إذا حدث ذلك".

كما أشار الخيطان إلى أن الانسحاب العسكري الأمريكي سوف يقود إلى تقويض دور واشنطن في اتفاق خفض التصعيد في الجنوب السوري الموقع مع الجانبَيْن الأردني والروسي.

وقال إن هناك مخاوف أردنية من انهيار الاتفاق؛ حيث سيقود ذلك إلى مواجهة عسكرية مفتوحة لاستعادة السيطرة على الجنوب السوري بين الجيش النظامي والمجموعات الحليفة له، وبين قوات المعارضة السورية المسلحة ومجموعات تنتمي إلى ما يُعرَف بالسلفية الجهادية.

بعض المراقبين، مثل خطَّار أبو دياب، المقيم في لندن، قال إن أي انسحاب أمريكي سوف يقود إلى إضعاف قدرة الولايات المتحدة على تحقيق هدف أساسي في برنامج ترامب الانتخابي، وسياساته في الشرق الأوسط، وهو احتواء طهران.

.....

وفي الأخير؛ فإن أهم ما يمكن الخلوص إليه من ذلك؛ هو أن هناك مواجهة داخلية في الإدارة الأمريكية، بعد أن أظهر "البنتاجون" على وجه الخصوص ممانعة لقرارات سابقة لترامب، في ظل اختلاف ما لدى "البنتاجون" ومؤسسات الدولة العميقة الأمريكية من برامج وسياسات، عن تلك التي يطرحها ترامب.. فكيف سوف يكون الموقف؟!.. انسحاب أم لا؛ الأيام فقط سوف تجيب عن هذا التساؤل.

كذلك؛ فإن هذه التطورات بالكامل؛ تشير إلى متاعب تواجه المعارضة السياسية السورية؛ حيث هي ربما الطرف الأضعف في المعادلة، ولا تملك أية خيارات.

فإذا كانت الفصائل السورية المسلحة الكبرى، مثل "جيش الإسلام" و"فيلق الرحمن"، بدا أنها بالفعل لا تملك قرارها؛ فكيف الحال بالمعارضة السياسية التي لا تملك أي تواجد أو تأثير على الأرض. لكن لعله درس للمرتزقة.. لو كانوا يعقلون!

..*.*.*.*.*

أحمد التلاوي: باحث مصري في شئون التنمية السياسية، وكاتب أساسي في مركز سام للدراسات الإستراتيجية